مقدمة

إذا كان التمثيل المسرحى أبًا للفنون فإن أدب الرحلات - فى رأيى - هو أبو الآداب لأنه يحوى كل ألوان وفنون الأدب بجانب العلوم الإنسانية الأخرى كعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتاريخ والجغرافيا، والأنثروبولوجيا وهو علم دراسة الإنسان وأعماله، والسياسة، أما أنه أبو الآداب فذلك لأنك تقرأ فيه المقالة النقدية والوصفية، والترجمة الشخصية لمشاهير البلاد والدول التى يزورها المؤلف سواء فى السياسة أم الأدب أم الفن، كما تقرأ فيه الحكايات التاريخية أو الأساطير المعروفة، وتاريخ البلدان، وعمل السكان، وطريقة تفكيرهم وحضارتهم القديمة والحديثة، وموقفهم من الحضارة العالمية والتكنولوجيا المعاصرة، وعاداتهم وتقاليدهم ومشاكلهم المختلفة وكيف يحلونها؟ تقرأ فى أدب الرحلات قصص الشعوب وأدبهم

وكيف يساهم فى جعل الحياة حلوة جميلة خالية من المشاكل والمعاناة.

إن أدب الرحلات صورة للمجتمع ككل، تجمع بين الأضواء والظلال وتوضح الإيجابيات والسلبيات، والإنسان هو الإنسان فى كل زمان ومكان، يبحث عن السعادة والراحة والمثل العليا عن طريق العمل الجاد، وقد أثبت علم الأنثروبولوجيا أن الشعوب والأجناس البشرية تتشابه فى طبيعتها الأساسية تشابهًا كبيرًا جدا، ومع ذلك تختلف الدول بعضها عن بعض بفضل التقاليد الموروثة والعادات المكتسبة، والنظم السياسية والطبيعة الجغرافية وغير ذلك.

وكاتب أدب الرحلات يجب أن تكون لديه قبل أن يكتب فكرة عن تاريخ العالم بوجه عام وعن حضارته القديمة والحديثة، والحروب المختلفة والنظم السياسية المتباينة وعن تاريخ ونظام وحضارة البلد الذى يزوره خاصة، حتى يستطيع أن يربط ما يشاهده فى رحلته بأصوله التاريخية إن وجدت، والمثل الإنجليزى ينصح المسافر بأن تكون له عينا صقر ليرى كل شىء، وأذنا حمار ليسمع كل شىء، وفم خنزير ليأكل أى شىء، وظهر جمل ليتحمل أى شىء، وساقا معزة لا تتعبان من المشى، وأن يكون معه حقيبتان مملوءتان بالمال والصبر، وأضيف إلى هذا المثل أن المسافر الذى يريد أن يكتب فى أدب الرحلات يجب أن تكون له ذاكرة قوية ليتذكر كل شىء، ولسان مرن لينطق كل

الكلمات، أو على الأقل بعض الكلمات المهمة فى البلد الذى يزوره مثل صباح الخير، مساء الخير، كيف حالك؟ وغير ذلك، فهذا يسعد الشعوب التى يزورها، وبجانب ذلك عليه أن يتقن لغة أو لغتين من اللغات العالمية المعروفة.

ومن الطبيعى أن يهتم كاتب أدب الرحلات بقراءة مؤلفات الكتاب الذين سبقوه فى هذا المجال، فأدب الرحلات فن قديم وجد مع الإنسان وإن كان بطيئًا فى البداية بطء حركة المواصلات والاتصالات، وكلنا نعرف أن «هيرودوت» أبو التاريخ زار مصر فى القرن السادس قبل ميلاد السيد المسيح وكتب عن المجتمع المصرى وقتذاك وأبدى إعجابه بالمرأة المصرية النشطة التى تقوم بواجباتها فى البيت ثم تخرج لتساعد زوجها فى الحقل، ومن أشهر كتب الرحلات كتاب «تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» للرحالة العربى محمد بن عبد الله اللواتى المشهور بابن بطوطة، الذى قضى ثمانيا وعشرين سنة من عمره البالغ أربعًا وسبعين فى الرحلات، ورحلة ابن جبير، وكتاب «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز» لشيخ المترجمين المصريين فى عصر محمد على، رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠٠ - ١٨٧٣) وهناك مجموعة من كتب أدب الرحلات للكتاب المصريين المعاصرين يحسن للقارئ والكاتب الاطلاع عليها، مثل كتب أنيس منصور «حول العالم فى ٢٠٠ يوم» الحاصل على جائزة الدولة، و «أطيب تحياتى من

موسكو» و «أعجب الرحلات فى التاريخ» و «طلع البدر علينا» و غيرها، و كتاب «سندباد مصرى معاصر» للدكتور حسين فوزى، و«صالون من ورق» لكمال الملاخ، و«مصرى بمليون دولار» محمود عوض، «رحلات جادة مرحة» مصطفى بهجت بدوى، «شيوعيون فى كل مكان» موسى صبرى، «لا عجيب إلا الصين» محسن محمد «العالم من ثقب الباب» كامل زهيرى، «دنيا عجيبة» محمد مصطفى غنيم، و«حكايات مسافر» دكتور مصطفى محمود و«مذكرات دبلوماسى غير مدونة» عبد الرحمن حمدى «هذه السوداء أحببتها» سعد الفطاطرى وكتب الرحالة المصرى محمد ثابت إلى غير ذلك من كتب الرحلات العربية التى تزخر بها المكتبات.

والقيام بالرحلات الطويلة والقصيرة إحدى هواياتى المهمة، بجانب المشى وزيارة المعارض والمتاحف، ومشاهدة الفن التشكيلى على اختلاف صوره، والاقتناء منه بقدر ما تسمح به حالتى المالية، ومن هواياتى القراءة وبخاصة فى مجال الفلسفة وعلم النفس والنقد والأدب وغير ذلك، كما أن من هواياتى تنسيق الزهور والعناية بها.

وفى مجال الرحلات قمت بزيارة أكثر من عشر دول فى آسيا وأوربا، زرت بعضها أكثر من مرتين، وفى كل مرة كنت أكتشف أشياء جديدة، ولم أقيد نفسى فى البداية فأقول هذه دولة شيوعية أو اشتراكية أو رأسمالية، بل كنت أشعر بسعادة لأننى سأرى

تجربة إنسانية جديدة فى الحياة، فأنا أؤمن بأن الإنسان الذى يعيش فى العالم من حقه أن يرى عالمه هذا بكل جوانبه وتفاصيله ونظمه وحسناته وسيئاته، والعالم كما قال شاعر الالمان الأشهر «جيته» قريتى بلدى ووطنى ويجب أن أراه وأعرفه على الرغم مما قد يكون فيه من المتناقضات، ومنذ وجد الإنسان على الأرض وهو يرنو إلى الكمال والسعادة والخير والرفاهية، وجرب فى سبيل ذلك نظمًا كثيرة متباينة ومازال يجرب حتى الآن، فلم يحقق النظام الرأسمالى كل ما يرجوه الإنسان من خيروسعادة ورفاهية وكذلك لم يفعل النظام الشيوعى، على أنه يجب الاعتراف بأن لكل نظام وجاهته وفضائله وسلبياته، ومن هنا مازال الإنسان يبحث عن الجديد المثالى، وسيظل يبحث طالما هو يعيش، فالحياة محاولات مستمرة نحو الأفضل والأمثل.

وفى رحلاتى كنت أهتم بالإنسان وحريته، عمله ودخله، سعادته وتعاسته صحته الروحية والجسمية، أفكاره واعتقاداته، وقابلت أشخاصًا بسطاء جدًا ولكنهم فى منتهى السعادة، وأشخاصا أغنياء جدًا، ولكنهم فى غاية التعاسة، وأيقنت أن السعادة نسبية، والمهم أن يكون الإنسان راضيا عن نفسه، مستريحًا لضميره.

وقد اخترت لهذا الكتاب خمس دول هى. كوريا الديمقراطية، وألمانيا الاتحادية، وألبانيا، واليونان ويوغوسلافيا، وأرجو أن يلقى هذا الكتاب نجاحًا أو على الاقل قبولاً من القارئ العزيز حتى أقدم له رحلاتى الأخرى فى كتب قادمة إن شاء الله.

وعلى الرغم من روعة الرحلات ورؤية العالم إلا أن السفر بالطائرات لا يخلو من مشقة تصل حد الرعب أحيانًا، فالحياة لحظة جميلة، ولكن هذه اللحظة يمكن أن تكون فى الطائرة ومع المطبات الهوائية لحظة مريرة تساوى العمر كله، وهذا يعرفه الذين يركبون الطائرات دائمًا، كذلك فإن الرحلات الكثيرة، وإن أضافت لى الكثير، إلا أنها حرمتنى أيضًا من الوجود بين أسرتى وعائلتى أيامًا وأسابيع، وأشهر حدث فيها ما لم يكن فى الحسبان، وما كان يقتضى وجودى فى القاهرة، ومع ذلك أشعر بسعادة فائقة بعد هذه الرحلات، وبعد الاختلاط بالإنسان فى كل مكان، وتناول الأطعمة الغريبة على، وصعود الجبال المرتفعة، والسباحة فى البحار المختلفة الألوان، وأعتز بأن لى أصدقاء فى بلاد بعيدة فى موسكو والولايات المتحدة وكوريا واليونان وألبانيا التى لا يعرف الناس عنها الكثير، ويوغسلافيا بلاد الانفتاح الاشتراكى، وتركيا حيث البخور والحياة الشرقية الأصيلة والمساجد العظيمة، وبوخارست العاصمة الغناء، وبلغاريا والبحر الأسود، وبراج عاصمة تشيكوسلوفاكيا التى يلقبونها بباريس الشرق، وبرلين التى تثير الشجون وتذكرك بتاريخ هتلر والحرب العالمية الثانية وكيف يمكن للإنسان أن يتحول إلى رسول للموت والدمار؟.

حقيقة إن الحياة حلوة جميلة، ومع الأصدقاء فى كل مكان، تكون أفضل وأجمل وأحلى، وأحلم بيوم يكون العالم فيه وحدة

واحدة يقاوم الشر ويبحث عن كل ما يحقق رخاء البشر، وينشلهم من لوعة الجوع، وظلمة الجهل، ويأس المرض، وتشريد الحروب، وهذا ممكن لو استخدم الإنسان العقل، واهتدى بتعاليم الأديان السماوية والأخلاق الإنسانية.

ووعد بلقاءات أخرى فى رحلات جديدة تجوب كل العالم بقاراته المختلفة، وتقدم لك تجارب الإنسان من هنا وهناك فإلى اللقاء.

فايز فرح